



منهجية تدريس علم الكلام (العقيدة)

لطلبة السنة الأولى علوم إسلامية

د. عليوان اسعيد

جامعة الأمير عبد القادر

مقدمة:

تعد مناهج التدريس من أهم اهتمامات علماء التربية قديما وحديثا. وذلك بغية اكتشاف أفضل الطرائق لإيصال المادة العلمية إلى أذهان المُتَلَمِّين وتحقيق الأهداف " العمل التربوي مِمَّا يجعلنا نبدأ موضوعنا بالتساؤل الآتي:

ما هي أفضل طريقة لا إيصال المادة " وإنشاء الحصانة الذاتية " أنياها، " وتمزيق ولما كل علوم

وكانت البنية الإسلامية تتكون من مجموع عناصر ثلاثة هي العقيدة والعبادة والشريعة. وكانت العقيدة هي عماد كل ذلك. لأنها الأساس الأول الذي لا بد منه بحيث إذا توفرت عُدَّ المرء مسلما وإن قصر في العنصرين الآخرين، وإذا لم تتوفر لم يعتبر مسلما وإن أفنى عمره كَلَّةً عبادة والتزاما بأحكام الشريعة¹، وكانت هذه العقيدة هي حصن المسلمين

1 - محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقنيات الكونية: ط 5، دار الفكر، دمشق، 1397هـ، ص 75، 74.

د. اسعد عليوان منهجية تدريس علم الكلام
وملاذهم الوحيد عبر التاريخ وكان جوهر هذه العقيدة: الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
فإننا نبدأ تدريس هذه ببيان المادة ببيان العقيدة الإسلامية في البنية الإسلامية ثم نحدد أهدافنا
من دراسة علم الكلام (علم العقيدة). ومن أهم هذه الأهداف في تصورنا ما يأتي:

1- فهم العقيدة الإسلامية فهما دقيقاً.

2- معرفة ما بذله المسلمون السابقون في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ومعرفة المساح
التي استخدموها لنستفيد منها.

3- معرفة ما وقع بينهم من اختلافات، ولا لإحيائها وإثارتها من جديد بل لتحليلها
والوصول من خلالها إلى القاسم المشترك الأعظم بين المسلمين لتتجه نحو الوحدة من جديد
لأن أساس الإسلام هو الوحدة لا الاختلاف "واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً"¹. ولأن العالم غير الإسلامي يسير نحو الوحدة رغم
الاختلاف في الأصول عكس حالنا نحن المسلمين. ووحدته تتم على حسابنا وضدنا.

4- تجنب أخطار المستشرقين والإكليروس لأن تلك الاختلافات مرتعهم الخصب للهجوم
على الإسلام، فعندما نعرفها نستطيع حماية أنفسنا من شرهم لأننا نعرفها من خلالنا وفقاً
لتصورنا لا من خلالهم، ومن جهة أخرى نعرف منبع الشبهات التي أثاروها، ونعرف
مصدرها، لأن كثيراً من الشبهات أكليروسي أخذها بعض المفسرين عن حسن نية، فنعرف
منبعها وكيف تطورت على أيدي المستشرقين والإكليروس ومن تلك الشبهات على سبيل
المثال قضية زواج النبي -صلى الله عليه وسلم- بأمنة زينب بنت جحش، وقضية النبي وهي
مرتبطة بها، وتعدد الزوجات الخ وهذه القضايا مرتبطة بالعقيدة أساساً لأنها تطعن في النبوة.

5- معرفة الملل والنحل مقتدين في هذا بمنهج القرآن الكريم، وذلك أن المنهج السليم لا
يقوم فقط على الردود، وإنما يقوم أيضاً على المقارنة، فمثلاً عندما يتهم بالإسلام بالعنف

1 - آل عمران: 103.

د. اسعد عليوانمنهجية تدريس علم الكلام
ننظر نحن في طبيعة النصرانية هل هي تقوم على السلم؟ وعندما يهتمون الإسلام بالرق ننظر
إلى النصرانية هل حثت على تحريمه وهكذا دواليك.

6- ربط الطلاب بما توصل إليه العلم الحديث واستخدامه في البرهنة على صحة الإسلام
وذلك لأن هذا منهج قرآني من جهة ومن جهة أخرى جعل الطالب ابن عصره ويومه.
بعد تحديد الأهداف ننتقل إلى أهم محور وهو وجود الله سبحانه وتعالى، فنبداً حديثنا فيه
عن براهين وجود الله عز وجل وإثبات وحدانيته جل وعلا.

براهين وجود الله عز وجل

تسهيلاً على الطلبة وضبطاً للموضوع، نبين أن براهين وجود الله عز وجل على
أساسين:

أحدهما مخلوقاته (الكون) والآخر ١٢
المتكلمين يوردون الحدوث ١٣
وأوردنا ١٤
ووجدنا ١٥
التدريس ١٦
البراهين كما ١٧

الأساس الأول: مخلوقات الله (الكون)

وقد اقتصرنا في السنة الأولى على البراهين الآتية:

1- دليل أو برهان الحدوث 2- دليل أو برهان الوجود 3- البرهان العلمي أو دليل
العناية والاختراع.

1- دليل الحدوث

بني العلماء هذا الدليل على مقدمتين هما:

د. اسعيد عليوان منهجية تدريس علم الكلام

- العالم¹ حادث.

- كل حادث لا بد له من مُحدث.

إذن العالم لا بد له من مُحدث يحدثه: أي يرجح وجوده على عدمه. وهو الله عز وجل، ولكي تتبين لنا صحة هذه النتيجة فلا بد من إقامة الدليل على صحة مقدماتها.

الدليل على أن العالم حادث: ويمكن صياغته بالدليلين الآتيين:

أ- العالم متغير، وكل متغير حادث/ إذن العالم حادث

ب- العالم متركب من جواهر² وأعراض³، وكل من الجواهر والأعراض متغير/ فالعالم متغير.

ولكي تتبين لنا صحة هذه النتيجة: فلا بد من إقامة الدليل على صحة مقدماتها.

(الدليل على أن الأعراض حادثة): هي حادثة بدليل.

أ- مشاهدة تغيرها من وجود إلى عدم وعكسه، ومن سكون إلى حركة وعكسه، والتغير علامة الحدوث.

ب- احتياجها إلى مُخصّص بوقت حدوثها دون ما قبله وما بعده: أي لا بد من مرجح لوقوعها في ذلك الوقت، لأن الترجيح من دون مرجح محال.

ج- افتقارها إلى جسم يقوم بها.

(الدليل على أن الجواهر حادثة): وذلك:

لأنها ملازمة للأعراض، فهي لا تخلو عن الحركة والسكون والألوان، ولم كانت الأعراض حادثة، فإن ملازم الحادث حادث.

1 - العالم: هو كل ما سوى الله. وسمي حادثاً لأنه حدث بعد عدم لعلته أوجده.

2- الجواهر ما قام بنفسه والعرض ما قام بغيره. فالحجر مثلاً جواهر وعرض، فمادته جوهر. وألوانه أو حركته أو سكونه عرض.

3 - رشدي محمد عليان، قحطان عبد الرحمن الدوري: أصول الدين الإسلامي: ط4 جامعة بغداد. 1990. ص هامش ص74-75.

د. اسعيد عليوانمنهجية تدريس علم الكلام
 . فإذا ثبت أن الجواهر والأعراض حادثة لزم أن يكون العالم المكون منهما حادثا، وبذلك
 تسلم لنا المقدمة الأولى وهي: العالم حادث.

الدليل على أن كل حادث لابد له من محدث:

هو: أنه لو حدث حادث بلا محدث للزم أن يترجح وجوده على عدمه بلا مرجح. وهو
 مستحيل بالبداية. ومعنى الرجحان بلا مرجح أن يكون الشيء جاريا على نسق معين ثم
 يتغير عن نسقه بدون وجود أي مغير، وهذا واضح البطلان. لأن كل عاقل يدرك أنه
 لتحويل شيء عن حاله السابقة لابد من محول ومؤثر يؤدي إلى ذلك، ومثاله: لو تركت
 كفتي ميزان متساويتين. لا ثقل في إحدهما وزعمت أن إحدهما قد ترجحت بدون مؤثر
 خارجي كنفخة هواء أو حجر إلخ... فإنك تكون مثارا للسخرية!

كأن
 العدم هو المنبسط محل العالم قبل وجوده، فالعدم أر...
 هذا العالم ترجح وجوده على العدم،...
 الأمرين المتساويين عا...
 تحول...
 الميزان...
 رحي: إن كل حادث لابد له من محدث²

2- د جامعة الأمير
 هذا البرهان ينسب أصله إلى الجويني³. ويقوم هذا الدليل في أساسه على مجموعة من
 الأفكار، منطلقه أن جميع الأمور والأشكال المفروضة في الذهن لا تعدو أن تنصف بأحد
 أوصاف ثلاثة: الوجوب والاستحالة والإمكان ولا رابع لهذه الأوصاف لأنها أقسام الحكم
 العقلي، وإذن فموجد هذا الكون إما أن يكون واجبا أو مستحيلا أو ممكنا ولا رابع. وهنا

1 - رشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري. المرجع السابق، ص 74-75.

2 - المرجع نفسه، ص 76-77.

3 - محمود قاسم مقدمة مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، ط 3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة
 1969م، ص 15.

د. اسعيد عليان منهجية تدريس علم الكلام
يتطرق المتكلمون إلى أقسام المعلوم إلى ممكن لذاته و واجب لذاته ومستحيل لذاته، ويعرفون كل قسم ويتعرضون إلى أحكام كل منها، ويتوصلون إلى أن الممكن موجود قطعاً، وأن وجود الممكن يقتضي في الضرورة وجود الواجب¹ وكل مرحلة من هذه المراحل تحتاج إلى برهنة كما أنه لا بد من معرفة معنى الدور والتسلسل وإثبات بطلانها لتتوصل في النهاية إلى إثبات أن يكون مُوجد العالم واجب الوجود².

ملاحظة على هذين الدليلين: يلاحظ بأنَّهُمَا يتطلبان لفهمهما أن يكون للطلاب دراية بكل من المنطق والفلسفة وإلا صعب عليه فهمهما. ولكنه بدون فهمهما لا يمكن أن يفهم ما أنتجه علماء الكلام السابقون الذين استخدموا في هذين البرهانين معطيات عصرهم العلمية والفكرية، ولما كان الطالب يأتي إلى الجامعة مزوداً بدراسة معتبرة للفلسفة وبمبادئ في المنطق، وكانت مادة المنطق مقررة على طلبة السنة الأولى، فإنه عن طريق التكامل بين المواد يمكن لأستاذ العقيدة أن يجد أرضية خصبة لتفقيه الطلبة هذين الدليلين، كما أنه يجب على الأستاذ أن يتدرج في هذين الدليلين شيئاً فشيئاً ويعيد ويكرر، ولا ينتقل من قضية إلا بعد التأكد من استيعاب الطلبة لها. ويتم تأكده بواسطة المناقشة. وتجربتنا المتواضعة بينت أن الاستيعاب ليس مستحيلاً بل رأينا نتائج إيجابية جداً وذلك مع طلبة السنة الأولى بمعهد باتنة سابقاً.

3- البرهان العلمي (دليل العناية والاختراع)

دليلاً العناية والاختراع استخدمهما أولاً الماتريدي. أخذهما عن القرآن الكريم وهما يطابقان العقل والشرع معاً³ ثم بلورهما ابن رشد، ومنطلقه "أن الأدلة التي تستخدم في إثبات وجود الله يجب أن تكون بديهية وغير معقدة أي خالية من تفريع المتكلمين وتقسيماتهم

1 - محمد عبده رسالة التوحيد، ط 2، دار إحياء العلوم، بيروت، 1977م. ص 53-57. أيضاً محمد سعيد رمضان البوطي. كبرى اليقنيات الكونية، ص 83-93. أيضاً رشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص 77-83.

2 - رشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري. المرجع السابق، ص 77.

3 - محمود قاسم: مقدمة مناهج الأدلة، ص 21.

د. اسعد عليوان منهجة تدريس علم الكلام العقلية. كما ينبغي ألا تثير الشبهات وأن تكون أدلة العقل والشرع في آن واحد إذ الحقيقة واحدة وبهذا تتجه هذه الأدلة في يسر إلى الناس جميعا عامة وخاصة. وربما حفزت العامة إلى الرغبة في المعرفة للوصول إلى مرتبة العلماء".¹ ونجد أن هذين الدليلين أوضح الأدلة على وجود الله ويمكن.

أ- أن يتخذها الجمهور طريقا لإثبات وجود الله فيقتضون منه على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبينة على الحس.

ب- والعلماء فيزيدون على ما يدرك من هذه الأشياء بالحس ما يدرك بالبرهان هذان الدليلان هما اللذان نبه عليهما القرآن الكريم واعتمدهما الصحابة وبيانهما في

الأول: دليل العناية

أي طريق الوقوف على العناية بالإنسان

أصلين:

- أ- أحدهما
- ب- من قبل فاعل قاصد لذلك مريد، إذ ليس يمكن بذلك باعتبار الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذلك موافقة الزمان، والمكان الذي هو فيه وهو الأرض والحيوان والنبات والجماد... الخ. والأمطار والأنهار والبحار. وكذلك تظهر العناية في أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان. أي كونها موافقة لحياته ووجوده وهكذا. ولذلك وجب على من أراد أن يعرف الله تعالى المعرفة التامة أن يفحص عن منافع الموجودات.³

1 - المرجع نفسه: ص 24.

2 - رشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري. المرجع السابق، ص 84.

3 - ابن رشد أبو الوليد، مناهج الأدلة في عقائد الملة. تحقيق محمود قاسم. ط 3، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة 1969م، ص 151-152.

د. اسعيد عليوان منهجية تدريس علم الكلام

الثاني: دليل الاختراع

وهو لا يقل بدهاءة ووضوحا عن الدليل الأول، فإن الاختراع بين في أنواع الحيوان والنبات وجميع أجزاء العالم. حيث أن وجود الحيوان والنبات دليل محسوس على الاختراع بمعنى أن وجود ظاهرة الحياة نفسها التي تطرأ على الأشياء غير العضوية كإف وحده في إثبات فكرة الاختراع، أما أجزاء العالم وحركات أجرامه السماوية فهي مخترعة أيضا لأنها مسخرة لتحقيق غايات معينة، وكل شيء مسخر لا بد أن يكون مخلوقا.

فإذا ثبت حدوث هذه الأشياء جميعا، حية وغير حية، كان ذلك دليلا بالضرورة على وجود الخالق¹.

هذا الدليل مبني على أصليين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس.

أ- أحدهما: أن هذه الموجودات مخترعة. وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات كما قال تعالى: "إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له"² فإننا نرى أجساما جمادية ثم تحدث فيها الحياة. فنعلم قطعا أن هاهنا موجدا للحياة ومنعما بها، وهو الله تبارك وتعالى، وأما السموات فنعلم، من قبل حركتها التي لا تفتقر، أنها مأمورة بالناية بما هاهنا، ومسخرة لنا، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة.

ب- وأما الأصل الثاني: فهو أن كل مخترع فله مخترع.

فيصبح من هذين الأصليين أن للموجود فاعلا مخترعا له، فعلى من أراد معرفة الله حسب معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات؛ لأن من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع. وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: "أو لم ينظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء..."³.

1 - محمود قاسم: المرجع السابق. ص 26.

2 - الحج: 73

3 - الأعراف: 185.

د. اسعيد عليوان.....منهجية تدريس علم الكلام
 فهذان الدليلان هما دليلا الشرع، وقد بين ابن رشد أن آيات القرآن الدالة على وجود
 الله منحصرة في هذين الجنتين من الأدلة وبين أن أدلة القرآن الكريم في هذا ثلاثة أنواع.
 - ما يتضمن التنبيه على دلالة العناية فقط وهي كثيرة مثل قوله تعالى "لم نجعل الأرض
 مهادا والجبال أوتادا... وجنات ألفافا"¹.
 - ما يتضمن دلالة الاختراع فقط، مثل قوله تعالى: "فلينظر الإنسان مم خلق... دافق"²
 وقوله تعالى: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت... سطحت"³.
 - الآيات التي تجمع الداليتين، وهي كثيرة أيضا، بل هي الأكثر، مثل قوله تعالى: "يا أيها
 الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم" إلى قوله: "فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم
 تعلمون"⁴. فإن قوله "الذي خلقكم والذين من قبلكم" تنبيه على العناية والاختراع
 "الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء"⁵ تنبيه على العناية والاختراع.
 ميزة هذين الدليلين:

- 1- أهما:
- 2- هاتيه إن كانت له غاية، ذلك أن
 فكرتنا - صفة إلا إذا وقفنا على آثار صنعة الله في كل جزء من
 أجزاء الكون
- ومن هنا فإن هذا الدليل -العناية والاختراع- هو الدليل العلمي الذي أكد عليه العلماء
 في العصر الحاضر بعد اتساع نطاق العلم الحديث واستكشاف الإنسان آفاق الفضاء
 والوقوف على كثير من أسرار الطبيعة⁷. وهنا يجب أن يكمل الأستاذ الحديث عن هذين

1 - النبا: 6-16.
 2 - الطارق: 5-6.
 3 - الغاشية: 17-20.
 4 - البقرة: 21-22.
 5 - ابن رشد أبو الوليد، المصدر السابق، ص 152-154.
 6 - محمود قاسم، المرجع السابق، ص 27.
 7 - رشيد محمد عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص 87.

د. اسعيد عليوان منهجية تدريس علم الكلام
الدليلين بإيراد جوانب مما يسمى اليوم "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" والكتب التي
تتحدث عنه معروفة مثل الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان: وأصول الدين الإسلامي
لرشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن وغيرهما.

الأساس الثاني: كلام الله عز وجل

من المعروف أن القرآن الكريم هو الكاتب الديني الوحيد الذي يحمل طابع التحدي
للموجودات كلها إنسهم وجنهم وفي الوجود كله. وقد تحدى العرب بجنس كلامهم
فعجزوا. وتعددت جوانب إعجازه. وهنا نشير إلى ما يخدم موضوع الألوهية على سبيل
الإيجاز والتركيز حتى لا يؤدي إلى الملل. فتبدأ بإشارة خفيفة إلى التحدي أو طابع الإعجاز
البياني، وأشير إلى المراجع المختارة لتأدية الغرض. وهي: الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان،
من روائع القرآن للبوطي، إعجاز القرآني للباقلاني، إعجاز القرآن للشعراوي. كتب السيرة
النبية كابن هشام. النبا العظيم لمحمد عبد الله دراز الخ. ونشير هنا إلى جانب مهم يعد من
جوانب الإعجاز البياني مرتبط بموضوع الألوهية. هو مظهر جلال الربوبية في القرآن الكريم.

مظهر جلال الربوبية في القرآن الكريم

أحد وجوه إعجازه

مظهر جلال الربوبية في القرآن الكريم هو أيسر شيء تذوقه فيه. وهنا نجد أنفسنا أمام
إعجاز آخر لا تحول دون فهمه عجمة أو أمية، للعرب والعجم ولجميع الناس. وتبين هذا
أن هناك قانون نفسي مضمونه أن طبيعة المتكلم تتراءى في مرآة لا نظير لها هي كلامه فإذا
تكلم كثيرا عرفنا نفسيته أو طبيعته "الكلام صفة المتكلم". من مظاهر ذلك أن الرجل الذي
يعيش في هذا العصر وتطبع بهذا القرن لا يستطيع أن يقلد أسلوب الجاحظ (ت 868م). أو
عبد الحميد الكاتب (750م) ورجل طبيعته الجد والتعمق في النظر لا يستطيع أن يكتب
طابع الهزل، وكذلك العكس. فالعقاد (ت 1964م) لا يمكن أن يكون المازني (ت 1949م)
والعكس صحيح.

د. اسعيد عليوان.....منهجية تدريس علم الكلام
نطبق ما سبق على القرآن الكريم فنقرأ منه الآيات الذاتية، أي التي يتحدث فيها الله عن ذاته، ولنفرض أن هذا القرآن الكريم كلام بشر، وأن إنسانا صاعه، وقد عرفنا أن الإنسان لا ينطبع إلا بما فيه، فلنصنع إلى الآيات الذاتية، وتلمس صفة البشرية فيها. هل يمكن أن نجد شيئا من صفات البشرية؟.

عندما نقرأ قوله عز وجل¹: "نيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم"² "إني أنا الله لا اله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى"³ "ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا. فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحشرنهم حول جهنم حثيا... عتيا"⁴ "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه وما هو إلا سراج مبهر"⁵ "إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير"⁶ علينا يسير نحن أعلم بما يقولون"⁷ "وضرب لنا مثلا ونعم لك بالبينات وهو ب... أراد شيئا أن يقول له كن فيكون... الكلام ننتبه إلى ما ينشره في نفوسنا من عظمة الألوهية الب... كيف تتزل معانيها من علو عظيم، وكيف تغمرنا بصورة القوة التي لا تحلو الهية التي ليست مما يتصف به البشر "وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذن لا نخذوك خليلًا. ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا

1 - محمد سعيد رمضان البوطي. المظاهر الجديدة في إعجاز القرآن الكريم محاضرة ألقيت بقاعة الموقار وأكملت بمسجد ابن باديس بالجزائر العاصمة في 1984م.
2 - الحجر: 49-50.
3 - طه: 14-15.
4 - مريم: 66-69.
5 - ق: 16.
6 - ق: 43-45.
7 - يس: 43-45.
8 - محمد سعيد رمضان البوطي. المظاهر الجديدة في إعجاز القرآن الكريم.

د. اسعيد عليوان منهجية تدريس علم الكلام
إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً... ولا تجد لستنا
تحويلاً¹ "أفجد أن مثل هذا الكلام مما يمكن لبشر أن يصطنعه اصطناعاً وأن ينطق به تمثيلاً،
وأن يتحلى به تزويراً"².

فلنتأمل ولنفكر:

أين هي مكامن البشرية في أقل مظاهرها في الآيات السابقة؟ كيف أستطيع أن أفرض أن
بشراً من الناس في عصر جلس في مكتبه وتصور كيف يكون الإله ويتحلى عن بشريته؟ لا
يمكن لأنه إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يقلد أخاه الإنسان على الرغم من القاسم المشترك
بينهما وتتغلب الفوارق. إذا كان ذلك كذلك. كيف يزعم هذا الإنسان أنه إله؟ إنه لا
يستطيع أن يتكلم بهذا. لأنه مهما بلغ الإنسان من القدرة على التمثيل والتمويه والمحاكاة لا
يمكنه أن يبلغ حد ازدواج المتناقض في مجال الطبيعة والنفس، بمعنى أنه لا يتأتى لإنسان ما
أن ينطبع في جانب من نفسه على البشرية بخصائصها المعروفة وينطبع في جانب آخر منها
على الألوهية بخصائصها المعروفة أيضاً.

وإذا كان هذا غير ممكن فمن المستحيل لإنسان ما أن يصوغ كلاً ما ينشر من حوله
جبروت الألوهية وتشع منه رهبة الربوبية وكبريائها في صياغة لا تكلف فيها ولا تمثيل. لأن
الطبيعة البشرية لا يمكن أن تتحلى عن لحظة من لحظات حياته. وبذلك تعوقه عن القدرة
على هذا الأمر. ولو حاول أن يجرب عن طريق التقمص والتمثيل فلن يأتي إلا بكلام
متهاافت يثبت ما أقامه في نفسه من ازدواج مصطنع كاذب في الطبع والشعور³.

ولقد جسد القرآن الكريم هذا عندما حدثنا عن فرعون. فرعون ادعى الربوبية ولكنه لم
يستطع أن يتخلص من مظاهر البشرية. كان يجلس على عرش الملك ويدعي الربوبية ولكن
بسريره تكذبه "وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على

1 - الإسراء: 71-77.

2 - محمد سعيد رمضان البوطي. من روائع القرآن، ط 5، مكتبة الفارابي، دمشق 1977، ص 189.
3 - نفسه، ص 188.

د. اسعيد عليوان منهجية تدريس علم الكلام
 الطين فاجعل لي صرحا لعلني أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين"¹. كيف بفرعون
 يدعي الربوبية ويصعد إلى السماء ليقضي على إله موسى. ولكنه لا يستطيع إلا بالاستعانة
 بالطين. بالتراب، لماذا يستعين بغيره؟ لقد كذبه لسانه أقرب شيء لذاته. إله لا يستطيع أن
 يحقق ما يريد إلا بالاستعانة بغيره ثم يقول: (لعلني) أي لا يتأكد هل يستطيع أم لا، وليس
 متأكدا هل موسى صادق في القول بوجود إله آخر أم لا: "وإني لأظنه" إن كل هذا من
 مظاهر ضعف البشرية فالإله لا يقول لعلني. لأنه قادر² "وما كان الله ليعجزه من شيء في
 السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا"³ ولا يظن لأن علمه وسع كل شيء خيرا
 "والله بكل شيء عليم"⁴.

وإذا ظهر لنا من خلال ما سبق مظهر جلال الربوبية :
 الألوهية للمدعين من البشر ولكن ذاقهم
 فلنقارن، - ليكنتم¹¹
 ورد فيما
 ويمشي
 يخاف من
 العجل وال- ريعسل رجله ويتكى تحت شجرة نائما. له صورة رأس وشعر ووجه وقفا
 وعين وأجفان وأذن وأنف ورجل وفم ونفس وشفة ولسان ويد ورجل وأصابع وبطن
 وقلب وظاهر وفرج ومكان. يتصارع مع يعقوب ويعجز في التغلب عليه. بل حتى في إنقاذ
 نفسه منه⁵ الخ. وخلاصة هذا أن الله عند أهل الكتاب يتصف بكل صفات البشر القبيحة
 وأنه في غاية التحسيم.

1 - القصص: 38.
 2 - محمد سعيد رمضان البوطي، المظاهر الجديدة في إعجاز القرآن الكريم.
 3 - فاطر: 45.
 4 - التغابن: 11.
 5 - ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى ما كتبناه عن الألوهية في العقيدة النصرانية في رسالة الدكتوراه.

اسعيد عليوان منهجية تدريس علم الكلام

إذن هذه الصفات تبين لنا وفقا للقانون النفسي السابق ذكره (الكلام صفة المتكلم) صفة نذير كتبوها، وإذن فهم بشر قدرون يتصفون بكل تلك الصفات. فهم يتحدثون عن أنفسهم لا عن الله. وإذن فالكتاب المقدس محرف. ليس كلام الله. وإذن يستحيل أن يكون لقرآن الكريم من تأليف محمد -صلى الله عليه وسلم- لأنه لو كان من تأليفه لوجدنا فيه صفات محمد لا صفات الله. ولكننا لا نجد أي أثر لذاته المحمدية في كتابة القرآن الكريم، لقد مرت سنون بمحمد -صلى الله عليه وسلم- لو كان من تأليفه لبثها فيه ومن أهمها عام الحزن -ولكننا لا نجد أي أثر لنفسية محمد عتابا، ولا يمكن أن يؤلف الإنسان كتابا لعاتبته نفسه. فالآيات الذاتية إذن لا وجود فيها لأي طابع بشري. وإذن صاحبها يستحيل أن يكون بشرا لأن البشر يستحيل أن يتجردوا كما رأينا من طبيعتهم البشرية وإذن فإن مظهر جلال الربوبية وكبرياء الألوهية في القرآن الكريم أحد أهم وجوه إعجاز القرآن الكريم. وإذن فالقرآن كلام الله. ومحمد نبيه ورسوله.

إثبات الوجدانية لله عز وجل

إن البراهين السابقة تتضمن حتمية الوجدانية لله عز وجل ومخالفته للحوادث وأنه "ليس كمثلته شيء"¹. ومع ذلك يجب أن نفردها مبحثا خاصا بها، ومن خلال هذا المبحث نستطيع أن نوجد حصانة من المبشرين الذين أصبحوا الآن يصطادون الطلبة والطالبات ونبت في ذهن الطلاب اعتراضا وافتخارا بعقيدتهم، تنطلق هنا في إثبات الوجدانية لله عز وجل من القرآن الكريم، فهو يقول: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"². ويقول: "ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون"³ ويقول: "قل لو كان معه آلهة كما تقولون إذا لا تبغسوا إلى ذي

1 - لشورى، 11.

2 - لأنبياء، 22.

3 - المؤمنون، 91.

د. اسعيد عليوان.....منهجية تدريس علم الكلام
العرش سيلا"1 ويقول: "أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله
خالق كل شيء وهو الواحد القهار"2.

لقد استنبط المتكلمون أشاعرة وما تريديّة ومعتزلة من الآيات السابقة دليلاً -رائعاً- على
الوحدانية هو دليل التمانع³ ينطلق الأستاذ منه دون أن يخوض في تفرعاته الكثيرة. ونفضل
استناده إلى الشامل في أصول الدين للجويني (ت 478 هـ)⁴ ويركز على توضيحه بأمثلة من
الواقع نقترح أن تكون كما يأتي:

ينطلق الأستاذ من القسم أو المدرج الذي يكون به فيسأل الطلبة: لماذا لم تعين الإدارة
أكثر من أستاذ واحد لتدريس نفس المادة في نفس الحصة؟ ويتوصل إلى أنه مستحيل ذلك
وإذن: الحصة لها أستاذ واحد فقط. والجامعة لها مدير واحد فقط
فقط، والجيش له قائد عام واحد، والدولة لها
أو رئيس لتعطلت الدولة. وكذا
يمكن تسييرها⁴.

تسيير
نه
ربنا
بغير نفسه (ليس بمعنى المشاهدة الحسية) وأرسل أنبياء ورسول، وأنزل
عليهم كتباً، وهامو القرآن الكريم يبين الله عز وجل فيه وجوده ووحدانيته وسلطته المطلقة
وخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء. وتتساءل هنا أين الآلهة الأخرى المدعاة؟ لو كانت
موجودة لماذا لم تظهر وترد عليه قائلة له: أنت لست وحدك الإله أو لست إلهاً؟ لما لم تبعث
رسلاً مثله؟ لماذا لم تنزل كتباً؟ بل لماذا لم تظهر وجودها رغم وجود التحدي؟.

1 - الإسراء، 42.

2 - الرعد، 16.

3 - محمود قاسم، مقدمة مناهج الأدلة، ص 19.

4 - إمام الحرمين الجويني، الشامل في أصول الدين، تحقيق علي سامي النشار وآخرين، د ط منشأة
المعارف، الإسكندرية 1969م، ص ابتداء من ص 352.

د. اسعيد عليوان منهجية تدريس علم الكلام

ومن خلال هذا نتساءل أين الله الثالث؟ وما دليل وجوده؟ هل الأناجيل؟ إنها ليست كلام الله بل دليل أنها قال يوحنا. قال مرقس، قال لوقا، قال متى. فهي إذن باعتراف أصحابها ليست قال الله. لكن القرآن الكريم قال الله، لو كانت موجودة إذن أين هي رغم وجود التحدي؟ إنها لا وجود لها البتة (لا إله إلا الله) وعلى ذكر الثالث فإننا لا بد أن نقدم له نقدا لتكوين الحصانة من المبشرين وإمداد الطلبة بسلاح يواجهون به مناجمهم.

تقوم العقيدة النصرانية على أساس أن الله ثلاثة أقاليم متساوية قديمة، هي الابن والأب والروح القدس، هذه الثلاثة تساوي واحد، وحدانية في تثليث. وتثليث في وحدانية، هذا ملد يسمى عندهم بالقانون أو الأمانة أو دستور الإيمان. ويرون بأن الإله الابن تأنس من مريم العذراء بواسطة الروح القدس منبثقا من الإله الأب. وأن الإله الروح القدس انبثق -على مذهب الكاثوليك- من الإله الأب والإله الابن.

إبطال الثالث:

- من أحكام واجب الوجود "أن لا يكون مركبا، إذ لو تركب لتقدم وجود كل جزء من أجزائه على وجود جملته التي هي ذاته، وكل جزء من أجزائه غير ذاته بالضرورة. فيكون وجود جملته محتاجا إلى وجود غيره. ولكن الواجب ما كان وجوده لذاته" ¹ وهنا فإن التركيب ذاته يحتاج إلى وجود مركب خارج عن المركب. وهذا يبطل للتثليث.

- إضافة إلى التناقض المادي في بنية الثالث هناك التناقض الفلسفي المنطقي. ذلك أن يقوم على أن الابن تأنس بالروح القدس من مريم العذراء. ولكن الروح القدس انبثق من الابن. وهذا تناقض، فهو من جهة يجعل الابن ممكن الوجود لا واجب الوجود لأنه احتاج إلى الروح القدس ليتأنس ويخرج إلى الوجود ولما كان ممكن الوجود استحاله كونه إلهيا لأنه يحتاج إلى واجب الوجود لأن "وجود الممكن يقتضي بالضرورة وجود الواجب" ².

1 - محمد عبده، رسالة التوحيد، ص 58.

2 - المرجع نفسه، ص 57.

د. اسعيد عليوان منهجية تدريس علم الكلام
وهذا النص يعظم قانون الإيمان النيقاوي الذي قرر المساواة بين الأب والابن وسوى
المسيح بين نفسه وبين جميع المخلوقات في الجهل بيوم القيامة. وخص بعلمه الله وحده مما
يبين استحالة كونه إلهاً¹.

- قول يسوع: (...لأن أبي أعظم مني)².
وهكذا تتوصل إلى أن الله عز وجل واحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً
أحد.

مقترحات لتدريس المعجزة

المعجزة من الأبواب المقررة على الطلبة، وهي إثبات للوجود الإلهي من جهة وإثبات
للنبوة من جهة أخرى. وإضافة للطريقة المتبعة في تدريس المعجزة فإننا نقترح التركيز على
الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم. وذلك لأن الإسلام اليوم يهاجم شريعة أكثر مما يهاجم
عقيدة. ونركز على القضايا المخربة اليوم للعالم والتي حلها الإسلام حلاً صحيحاً، ومن
فوائد هذا ربط التوحيد بالواقع وقد لوحظ أثناء تدريس هذا الجانب سهولة استيعاب الطلبة
له، بل يجد الطلبة لذة كبيرة ومتعة في دراسته بينما يجدون صعوبة في أدلة الفلاسفة
وبراهينهم. ونقترح أن يتم تدريس الإعجاز التشريعي كما يأتي:
مقارنة شريعة القرآن بالقانون الروماني وكذا بالقوانين الوضعية الحالية في جوانب
جوهرية منها:

- نشأة كل منهما زماناً ومكاناً.

- موقف كل منهما من:

- المساواة القانونية، الرق، نظرة كل منهما إلى الضعيف اقتصادياً، قضية المديونية اليوم.

بناء الإنسان من الداخل. والهدف أو النتيجة: الوصول إلى أن الإسلام وحده القادر على

حل مشكل الإنسان.

1 - رحمة الله الهندي، المرجع السابق، ص 409-411.

2 - حنا، 28/14.

د. اسعيد عليوانمنهجية تدريس علم الكلام

ومن المراجع المقترحة:

- شريعة القرآن لمحمد أبي زهرة. - من روائع القرآن للبوطي - العدالة الاجتماعية لسيد قطب - التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي لعبد القادر عودة - بينات الحل الإسلامي للقرضاوي - اقتصادنا محمد باقر الصدر
- نحن والحضارة الغربية للمودودي - سفر التنبيه لإصحاح 23 فقرات 20/19.

قضية التقريب بين الفرق الإسلامية

نموذج الأشاعرة والإباضية

من الاختلافات الموجودة بين الأشاعرة والإباضية قضية الصفات، ولكننا - نظر إلى الاختلاف وتجرد من التحيز المذهبي نجد أنفسنا متقاربين في - نضع العلاقة بيننا في الفروع، ونكتفي بالإشارة إلى - قضية خلق القرآن: نجد - بين أيدينا ال - على - وعرض - بالخلق. ول - بالخلق المخلوق فقال: يقدم كلام الله باعتباره علما وصفة، وقال بحدوثه وخلقته باعتباره متلوا محفوظا مكتوبا، ونص الشيخ إبراهيم الطقيش رحمه الله وهو من الإباضية المعاصرين على أن الخلاف بين الخصمين في مسألة الكلام يكاد يكون لفظيا. ومعنى هذا أن هناك تقارب بين الأشاعرة والإباضية أكبر من التباعد. ويمكن عن طريق الحوار التقريب الوصول إلى تقارب أكبر.

1 - عمار طالي، آراء الخوارج، د ط، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1971. ج 1، ص 154-155.

د. اسعيد عليوانمنهجية تدريس علم الكلام
قضية الرؤية: يتفق الطرفان على استحالتها في الدنيا ويختلفان على وقوعها في الآخرة
وكلاهما يستند إلى القرآن والسنة. بل نجد عبد العزيز الثميني الذي يفسر الرؤية يوم القيامة
بالرضوان يكاد يتبنى رأي الغزالي. ونحن بدل أن نتنازع، نتنافس من أجل الفوز بالجنة.
وسواء وجدنا الرؤية أم وجدنا الرضوان. فكلاهما مما تطمح النفوس المسلمة إليه.

الحصة التطبيقية

- نقترح أن تكون متنوعة. بين شرح النصوص والعروض
شرح النصوص: يمكن أن نحدد لها أربعة أهداف أساسية هي:
- للتوسع في قضية لا يمكن التوسع فيها في الحصة النظرية.
- لتعريف الطلبة كيفية التعامل مع النصوص القديمة وفهم مصطلحاتها والتعود على
قراءتها وذلك بسبب اختلاف لغتنا اليوم عن لغة السابقين.
- لمعرفة كيفية التحليل والنقد، ولاسيما في النصوص المناقضة للإسلام وهذا يفرض
إعداد الطالب لمواجهة الصراع الفكري في الحياة.
- لتدعيم الحصة النظرية بنصوص تتعلق بأحدث ما وصل إليه العلم فيما له علاقة
بالمحاضرة.

العروض: وتتمحور حول الآتي

- مقارنة النصوص في الموضوع الواحد مثلا: داود في القرآن الكريم وفي الكتاب
المقدس. والغرض من هذا:
- إبراز ما هو من عند الله وما هو من عند البشر.
- إطلاع الطالب على ما عند الآخرين من دين ليزداد ثقة في النفس ولينجو من حائل
المبشرين الذين لا ينطلقون من تقدم عقائدهم بل من تقدم وسائل الإحسان وإظهار بعض
النصوص فقط المنتقاة لإيقاع الشباب الإسلامي في شركهم.

د. اسعد عليوانمنهجية تدريس علم الكلام
- مقارنة العقائد من خلال نصوصها، مثلاً: الألوهية في القرآن الكريم مع الألوهية في الكتاب المقدس.

- عرض الشبهات التي يثيرها الإكليروس والمستشرقون. وتبحث كالآتي:
- البحث عن أصل الشبهة لمعرفة من وضعها إن أمكن ذلك. ولاسيما أن البحث العلمي أوصلنا إلى معرفة بعض أولئك.

- ربط الطالب بالقرآن الكريم وذلك بالرجوع إلى نصوصه مباشرة لمقارنة ما كتب في الشبهة موضوع البحث مما ثبت تناقضها معه إن كان لها علاقة به/ ومثلها شبهة زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأمتنا زينب بنت جحش، وهنا يكتشف بعض الإسرائيليات الموسومة في بعض التفاسير فيكتشف أصولها ويزيفها بالأقاويل نتيجة لاطلاع النص القرآني.

- ربط الطالب بالتفاسير وكتب الطالب في مصنفات-
والتفا
رجي عاطفة الإيمان.

- زينب بقمه
جميع بنت البعام ومقارنة عدد زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- التي جعلت المستشرقين يتهمونهم بالشهوانية بسليمان الذي كان متزوجاً بألف امرأة، 700 حرة، و300 أمة، ويكون ذلك كله موثقاً من الكتاب المقدس مع تعليقات الكتاب المقدس على أصحابه.

ف نجد الكتاب المقدس يبين أن داود في قضية بتشيع ارتكب 8 أخطاء كاملة ومع ذلك يقول لنا الكتاب المقدس أن داود كان محبوباً جداً من طرف الرب¹.
والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

1 - ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى صموئيل الثاني، ابتداء من: الإصحاح 2، وكذا رحمه الله الهندي، المرجع السابق، ص 280 وما بعدها.